مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال ٩: ٣٢–٤٣)

في تلك الأيامِ فيما كان بطرسُ يطوفُ في جميع الأماكن نزلَ أيضاً إلى القديسينَ الساكنينَ في لُدَّةَ* فوجدَ هناك إنساناً اسمهُ أينياسَ مضطجعاً على سريرٍ منذ ثماني سنينَ وهو مخلَّعٌ فقالَ له بطرسُ يا أينياسَ يشفيكَ يسوعُ المسيحُ قُم وافترشْ لنفسك. فقام للوقت* ورآهُ جميعُ الساكنينَ في لُدَّة وسارون فرجعوا إلى الرب* وكانت في يافا تلميذةٌ اسمها طابيتا الذي تفسيرهُ ظَبية. وكانت هذه ممتلئةً أعمالاً صالحةً وصَدقاتٍ كانت تعملُها* فحدثَ في تلكَ الأيامِ أنَّها مَرِضت وماتت. فغسلوها ووضعوها في العلِّية* وإذ كانت لُدَّةُ بقربِ يافا وسمع التلاميذُ أنَّ بطرسَ فيها أرسلوا إليه رجُلين يسألانِهِ أن لا يُبطئَ عن القدوم إليهم* فقامَ بطرسُ وأتى معهما. فلمَّا وصل صعدوا به إلى العلِّية ووقف لديهِ جميعُ الأرامل يبكينَ ويُرينَهُ أقمصةً وثياباً كانت تصنعها ظَبيةُ

أحد المخلع

«إن ملاك الرب في القديم كان ينحدر إلى البركة الغنمية في كل عام ويُحرِّك الماء وواحد فقط يصير صحيحاً، وأما المسيح فبالمعمودية الإلهية يخلّص جمًّا غفيراً لا يحصى» (من سَحَر أحد المخلَّع).

في الأحد الثالث بعد الفصح يُتلى على مسامعنا المقطع الإنجيلي (يو ٥: ١–١٥) الذي يتحدَّث عن شفاء الرب يسوع لإنسان «به مرض» جعله مخلّعاً، مقعداً، لثمانٍ وثلاثين سنة. هذا المخلَّع كان يجلس قرب بركة ماء بيت حسدا منتظراً نزول ملاك الرب ليحرِّك المياه، لكنه لم يجد من يرميه في البركة ليشفى إلى أن أتى الرب يسوع وأبرأه من مرضه وقال له: «ها قد عوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئُ لئلاَّ يُصيبَكَ أشرُّ» (يو ٥:١٤).

رغم ان هذا النص الإنجيلي لا يتحدَّث عن قيامة الرب، بما أننا ما زلنا في موسم القيامة، إلا انه يبقينا في مناخ سر القيامة ومفاعيله التي نحصل عليها من خلال سر المعمودية. فكما نعلم، معمودية الموعوظين في القرون الأولى كانت تتم ليلة الفصح، يوم سبت النور، وذلك لارتباط مفهوم المعمودية بموت المخلِّص وقيامته. المعمودية هي الحياة الجديدة بالمسيح يسوع القائم من بين الأموات، هي عبور من الموت إلى الحياة كما أجازنا الفصح من الموت إلى الحياة. وشفاء المخلَّع في بركة المياه، قبل الصليب والقيامة، ما هو إلاَّ تذوّق مسبق لنتائج حدث الفداء الخلاصي الذي نقلنا فيه يسوع من الموت إلى الحياة كما نقل المخلَّع من وضع عتيق إلى وضع الشفاء، من اليأس إلى الرجاء وكما ينقلنا في المعمودية بالماء والروح إلى جدَّة الحياة، محوِّلاً إيانا من إنسان عتيق إلى إنسان جديد. أكثر من ذلك، فإن شفاء المخلَّع يجعلنا نتذوَّق مسبقاً الشفاء الكامل في الملكوت، حيث الإنسان معافى بالكامل جسدياً وروحياً. لذلك فإن العجائب في الإنجيل، وعلى الأخص في إنجيل يوحنا، تسمَّى آيات لأنها علامات لأمور مستقبلة يعدنا بها الله، تظهر لنا روعة الله ومحبَّته لنا.

لقد شفى الرب يسوع المخلَّع الذي كان ينتظر من يلقيه في البركة، ونحن من خلال المعمودية في الكنيسة يشفينا الرب من عاهاتنا الروحية ويخلِّصنا لحياة أبدية. في الحالتين ينتقل الإنسان من حالة مزرية إلى

العدد ٢٠٠٦/٢٠
الأحد ١٤ أيار
أحد المخلَّع
تذكار القديس إيسيدورُس
المستشهد في جزيرة شيو
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الخامس

معهنَّ* فأخرج بطرسُ الجميعَ خارجاً وجثا على رُكبتيهِ وصلّى. ثمَّ التفتَ إلى الجسدِ وقال يا طابيتا قومي. ففتحت عينيها. ولما أبصرت بطرسَ جلست* فناولها يَدَهُ وأنهضها* ثم دعا القديسينَ والأرامل وأقامها لديهم حيَّةً* فشاع هذا الخبرُ في يافا كلها. فآمنَ كثيرون بالرب.

الإنجيل

(يوحنا ٥:١–١٥)

في ذلك الزمان صعِد يسوعُ إلى أورشليم* وإنَّ في أورشليم عند بابِ الغنم بِرْكةً تُسمَّى بالعبرانية بيتَ حِسدا لها خمسةُ أروقة* كان مضطجعاً فيها جمهورٌ كثيرٌ من المرضى من عميانٍ وعُرْجٍ ويابسي الأعضاءِ ينتظرون تحريك الماء* لأنَّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البِرْكةِ ويحرِّك الماء. والذي كان ينزلُ أولاً من بعدِ تحريكِ الماء كان يُبرأ من أيِّ مرضٍ اعتراهُ* وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً* هذا إذ رآهُ يسوعُ مُلقًى وعلِم أنَّ له زماناً كثيراً قال له أتريدُ أن تَبرأ* فأجابه المريضُ يا سيِّدُ ليس لي إنسانٌ متى حُرِّكَ الماءُ يُلقيني في البِرْكة بل بينما أكونُ آتياً ينزلُ قبلي آخرُ* فقال لهُ يسوعُ قُمْ احملْ سريرك وامشِ* فللوقتِ بَرئَ الرجلُ وحملَ سريرَهُ

حالة جيدة. الكنيسة وعت هذا الترابط وعبّرت عنه من خلال ترانيم هذا اليوم كالتي ذكرنا أعلاه. كلنا مرضى ومخلّعون بالخطيئة بطريقة أو بأخرى مثل الجموع حول بركة بيت حسدا، وليس لنا سوى الرب الذي صُلب لأجلنا وقام وحمل أمراضنا وخطايانا لكي يشفينا.

في المعمودية تمحى عنا آثار الخطيئة، وندخل في حياة جديدة مع يسوع، أي اننا نشفى من الجراحات الروحية التي تدمي نفوسنا والتي جرحنا بها الشرير بسهامه قديما. وفي هذا الإطار تأتي قراءة إنجيل اليوم لتعلن لنا ان هذا الذي انتصر على الشيطان، على الموت، وقام من بين الأموات هو نفسه الذي يملك السلطان على أجسادنا، وقد شفى المخلَّع هو وحده القادر على غلبة الموت والقيامة من بين الأموات.

الشفاء الجسدي أمر سهل، الأهم أن نشفى من الخطيئة. نقرأ في إنجيل مرقس (٢:١–١١) عن المخلَّع الذي أحضروه إلى يسوع ولم يستطيعوا إدخاله إلى البيت من كثرة الناس. نقبوا السقف ودلّوه أمام يسوع الذي قال له: «يا بُنَيَّ مغفورةٌ لكَ خطاياكَ» (٢:٥). بعد اعتراض الكتبة يقول له يسوع «قُمْ واحملْ سريركَ واذهَبْ إلى بيتِكَ» (٢: ١١). هم الرب يسوع أن يوصلك أبعد من شفاء الجسد، إلى شفاء النفس لأنه «خيرٌ لكَ أن تدخلَ الحياةَ أعرَجَ أو أقطَعَ من أن تُلقى في النَّارِ الأبديَّةِ ولكَ يدانِ أو رِجلانِ» (متى١٨:٨). من هنا نرى الرب يسوع يقول لمخلَّع بركة بيت حسدا (بيت الرحمة): «ها قد عُوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئُ لئلاَّ يُصيبَكَ أشرُّ» (يو٥:١٤). مَنْ شملته رحمة الرب لا يحق له العودة إلى الوراء وإلا فإنه يكون كالذي وجد جوهرة ثمينة كبيرة جداً واستبدلها لاحقاً بحجارة قد تبدو كريمة. فمَنْ اعتمد على اسم الثالوث وقَبِلَ مسحة الروح القدس هو كالذي أُعطي الوزنات فلا يحق له تبديدها أو حتى طمرها. أي مَنْ مُسحت عنه آثار الخطيئة لا يجوز له أن يعود إلى الوراء، لأن خطيئته هي أعظم من خطيئة من لم يعتمد بعد. لذا فإن المسيحي الذي يخطئ سوف يُحاسَب أكثر من غيره لأنه يخون محبَّة الثالوث. بعدما عرف المخلَّع أن مَنْ شفاه هو المسيح لم يعد مسموحاً له العودة روحياً إلى الوراء: «لا تعد تُخطئ لئلاَّ يصيبك أشرّ». وهل هناك أشرّ من أن لا يدخل الإنسان إلى الملكوت؟

العجائب والأشفية، كما ذكرنا أعلاه، في الكتاب المقدس هي آيات وعلامات تشير إلى الشفاء الكامل للشخص في ملكوت الله. الكتاب المقدس لا يقسم البشر إلى أجساد ونفوس، ولا يتعامل مع كل قسم بمفرده. الإنسان كامل متكامل بجسده ونفسه وروحه، والإنسان بكماله بحاجة إلى أن يصبح كاملاً. يُشفى جسدياً ويتقدَّس روحياً. الشفاء والقداسة ينموان كلما نَمَوْنا في شركتنا مع الله ومع الآخرين ومع كل خليقة الله. الله يدخل إلى الخليقة بابنه يسوع المسيح لكي يجذبها كلها إليه. ونحن نتشارك في هذا الشفاء الكوني كلما نَمَوْنا في الشركة مع المسيح يسوع بالروح القدس الساكن فينا بالمعمودية. قدرة الروح القدس الشافية تمتد نحونا كلما تعلّمنا أن نسير في طريق الله ونحيا بحسب وصايا محبته.

القديس باخوميوس الكبير

يرتبط اسم القديس باخوميوس، الذي تُعيِّد له كنيستنا المقدسة في الخامس عشر من شهر أيار، بالحياة الرهبانية الشركويّة، لأنه أول من وضع قوانين مكتوبة لحياة الشركة الرهبانية وتوسّع فيها واعتمدها

ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ* فقال اليهود للذي شُفي إنَّه سبتٌ فلا يحِلُّ لكَ أن تحمِلَ السريرَ* فأجابهم إنَّ الذي أبرأني هو قال لي إحملْ سريرَك وامشِ* فسألوهُ من هو الإنسانُ الذي قال لكَ إحملْ سريرَك وامشِ* أمَّا الذي شُفي فلم يكن يعلمُ من هو. لأنَّ يسوعَ اعتزلَ إذ كان في الموضِعِ جمعٌ* وبعدَ ذلك وجدهُ يسوعُ في الهيكل فقال لهُ ها قد عوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئُ لئلاَّ يُصيبكَ أشرُّ* فذهب ذلك الإنسانُ وأخبر اليهودَ أنَّ يسوعَ هو الذي أبرأهُ.

تأمل

إن من يشكر الواهب يحثه على عطايا أعظم. من لا يشكر على الصغيرات فهو في شكره على الكبيرات كاذب وظالم. من يمرض ويعرف داءه عليه أن يفتش عن الإستشفاء، ومن يعترف بألمه يقترب من الشفاء ويبلغه بسهولة. القلب القاسي تزداد فيه الأوجاع، والسقيم الذي يقاوم الطبيب يزداد ألمه. لا توجد خطيئة بدون مغفرة إلاّ التي بلا توبة، ولا عطيّة بدون مزيد إلاّ التي بلا شكر. حصة الجاهل صغيرة في عينيه.

تذكّر أولئك الذين يمتازون عنك في الفضيلة لترى كم أنت أقلّ منهم. تذكّر دوماً الشدائد الصعبة التي يقاسيها أولئك أثناء الضيق

أساساً للجماعة التي أنشأها.

وُلد قديسنا في صعيد مصر الأقصى من أبوين وثنيين حوالي العام ٢٩٢م. وقد نشأ على اعتقادات والديه الوثنية. غير أنه كان، منذ طفوليته وديعاً محتشماً ولا يحب الاحتفالات الوثنية.

في العشرين من عمره جُنّد وأُرسل على متن مركب سلك خط مياه النيل، فلما بلغ المجنّدون مدينة إسنا، عند المساء، كانوا منهكين، فجاء مسيحيّو تلك المدينة يقدّمون للمجنّدين الطعام والشراب وحتى المال بعدما وجدوهم في الحجز الصارم، منهكين وتساء معاملتهم. عطف عليهم المسيحيون وكأنهم أولادهم. هذه البادرة تركت لدى باخوميوس انطباعاً قوياً حتى إنه تساءل باستغراب ما الذي يدفع بهؤلاء القوم إلى الاهتمام بنا وهم لا يعرفوننا وليس ما يربطنا بهم؟ وأتاه الجواب أن هؤلاء مسيحيون يعبدون الإله، خالق السماء والأرض، وهو يعلّمهم أن يحبّوا الغرباء تماماً كما يحبّون أنفسهم. هذا ما ولّد لديه رغبة عميقة في اقتبال الإيمان بالإله الذي يؤمن به هؤلاء إن عاد سالماً من الحرب. وبتدبير الله سُرِّح من الجندية بعد حين وعاد إلى دياره، فما كان منه إلاّ أن انطلق إلى مدينة عُرفت لاحقاً بقصر الصياد، حيث سجّل اسمه في قائمة الموعوظين وجرت عمادته.

هَمّ باخوميوس تركّز على خدمة ربّه أفضل خدمة وخدمة الآخرين بغيرة وثبات قلب.

قاده الرب في طريق البرية فتتلمذ على يد شيخ قديس اسمه بلامون نصحه أن يمتحن نفسه بتدريبات معيَّنة في القرية القريبة قبل أن يقرر سلوك طريق النسك القاسية. وبدل أن تثنيه صعوبات الطريق عن عزمه اتقدت رغبته بالأكثر لأنه كان مستعداً أن يفعل أي شيء ليحظى برضى ربّه، فارتبط بالشيخ والتزم بما يمليه عليه، فضمّه بلامون إلى قلايته وأعطاه الثوب الرهباني.

كان باخوميوس يعمل ما يرى معلّمه يعمل، من تلاوة المزامير والصلاة الداخلية أثناء الليل إلى عمل اليدين لتأمين حاجة الجسد من ناحية وإعانة المحتاجين من ناحية أخرى.

اعتاد باخوميوس الذهاب إلى مكان رحب قاحل على ضفاف النيل، فحدث له مرّة وهو هناك يصلّي أن سمع صوتاً يأمره أن يبني ديراً في ذلك المكان يقتبل فيه من يرسلهم الرب الإله لخدمته. فعاد إلى شيخه وأطلعه على ما جرى له فتوجها معاً إلى ذلك المكان وبنيا فيه قلاية صغيرة، ثم بعد فترة قصيرة عاد بلامون إلى مقامه الأول واعداً باخوميوس بزيارته سنوياً. لكنه ما لبث أن رقد بالرب.

أوّل الذين قدِموا إلى باخوميوس كان أخاه الأكبر يوحنا، وبعد ذلك جاء آخرون كذلك. أخته جاءته أيضاً فلم يقبلها ولكنه شجعها على الحياة الرهبانية وأسس لها ديراً في الاتجاه المقابل من نهر النيل ضم فيما بعد حوالي ثلاثماية راهبة.

قلاية القديس باخوميوس ما لبثت أن توسعت وبلغ عدد الرهبان المجتمعين إليه في وقت قصير المائة راهب. وبعد ذلك بنى باخوميوس ستة أديرة أخرى في تلك النواحي.

إن النمط الرهباني القائم على تجمع بعض الرهبان حول شيخ روحي لم يكن جديداً بالنسبة للقديس باخوميوس، وقد ابتدأ حياته الرهبانية وفق هذا النمط. إنما ما ميّز الحياة الرهبانية التي أنشأها هو ووضع لها قوانين محدّدة جداً تتطرَّق إلى تفاصيل حياة الراهب الخارجية (المأكل، والعمل...) والداخلية (الصلاة وقوانينها والمشاركة بالأسرار)، هي حياة الشركة القائمة على تمثل حياة

والشقاء حتى تـؤدّي الشكر اللائق لله على ضيقاتك الصغيرة والزهيدة وتتمكن من الصبر عليها بفرح. عندما يتغلّب العدو بالضجر والإرتخاء ويربطك بشقاء أليم ويأسرك بفعل الخطيئة الشديد، تذكّر في قلبك اجتهادك السابق، وكيف كنت تهتم حتى بالأمور الصغيرة، وافطن للجهاد الذي أظهرته وكيف كنت تندفع بغيرة ضد أولئك الذين كانوا يحاولون منعك من المسير. تذكّر أيضاً التنهدات التي سكبتها من أجل الزلّات التي وقعتَ فيها نتيجة اهمالك، وكيف أنك فزتَ عليها وحصلتَ على إكليل النصر. هذه الذكريات توقظ النفس كما من نوم عميق وتوشّحها بلهيب الغيرة وتنهضها من غرقها، كما من بين الأموات، وتعيدها إلى حالتها الأولى وتجدد نشاطها الحار ضد الشيطان والخطيئة.

تذكّر سقوط الأقوياء تتّضع بفضائلك. تذكّر الزلّات القاسية التي سقط فيها كثيرون قديماً واستحقوا سمو الكرامة بعدما تابوا تكتسب شجاعة في توبتك. اضطهد نفسك يُطرد العدو بعيداً عنك. اجلب السلام لنفسك تستقبلك السماء والأرض بالسلام. اجتهد أن تدخل مخدعك السرّي ترَ المخدع السماوي أيضاً، لأن هذا وذلك واحد، وبدخولك احدهما ترى الإثنين معاً. إنَّ سُلَّمَ ذلك الملكوت كائن في داخلك أي مخبّأ في نفسك. تأمَّل خطيئتك بعمق تجد هناك مصاعد تستطيع الإرتقاء بها.

القديس اسحق السرياني

الرسل في الكنيسة الأولى والاقتداء بهم. لذلك فإن ميزة هذا النمط من الحياة الرهبانية ليست مجرّد تجمع أشخاص حول راهب ذي خبرة روحية، بل هي حياة أخوية مشتركة. هذا ليس نظرياً، إذ إن كل فرد من هذه الشركة يضع نفسه حقيقة في خدمة الآخرين.

وعلى هذا الأساس، ووفق مبدأ السلطة في الكنيسة الأولى، اعتبر باخوميوس ان دوره في هذه الجماعة هو دور الخادم، وهذا ما يفسِّر قيامه، عندما كان يدرِّب تلاميذه الأوائل، بكل الأعمال الوضيعة بنفسه، مشدِّداً بذلك على انهم لم يبلغوا بعد حد قدرتهم على خدمة الآخرين، طالما لم يستطيعوا بعد القيام بتلك الأعمال على مثاله.

كانت ثياب الراهب الباخومي من الكتّان المنشى. الأصوام والأشغال كانت بمقدار طاقة كل واحد. كان الرهبان يلتقون في غرفة طعام واحدة، يلزمون الصمت وأغطيتهم على رؤوسهم حتى لا يرى أحدهم الآخر يأكل. اشتراكهم في المناولة المقدسة كان في أول الأسبوع وفي الأيام الأخيرة منه. طلاب الرهبنة كانوا يُمتحنون بصرامة. لم يشأ باخوميوس لرهبانه أن يصير أحد منهم كاهناً، ولكنه كان يقبل أحياناً في الشركة طلاب رهبنة من الكهنة.

أصيب بوباء اجتاح مصر وحصد مئة من رهبانه، وقد رقد في الرب عن سبع وخمسين سنة، بعدما عاين في الأديرة التي أسسها حوالي سبعة آلاف راهب. وقد بقيت رهبانيته عامرة حتى القرن الحادي عشر.

عن القديس باخوميوس:

+ بينما كان الأنبا باخوميوس يعمل مع رهبانه بفرح وغبطة روحية قام أنبا أثناسيوس الرسول بزيارة رعوية. ولما دنا من منطقة دندره سمع أصوات ترانيم وتسابيح الرهبان الذين يسكنون تلك الناحية، الذين خرجوا من أديرتهم لاستقباله متهلّلين. وطلب منه سرابيون أسقف دندره أن يرسم باخوميوس كاهناً لأن سرابيون حاول عبثاً أن يضع اليد عليه. وحين سمع باخوميوس ذلك الكلام اختفى عن الأنظار لأنه من فرط اتضاعه كان يعتقد أنه أحط من أن ينال هذه الدرجة الكهنوتية السامية. فجمع البابا أثناسيوس رهبان أنبا باخوميوس وقال لهم: سلّموا لي على أبيكم وقولوا له بلساني لقد هربت من المجد الباطل الذي كثيراً ما يثير الحسد في النفوس. فليمنحك الله سؤل قلبك، وانك مع هربك من المجد الفاني سعيت وراء المجد الباقي. لذلك أعدك بأنني لن أضع اليد عليك قسراً. وآمل إن أتيح لي المرور من هذا الطريق مرة أخرى أن أفرح بلقياك. ولما شعر أنبا باخوميوس بانصراف البابا الإسكندري خرج من مكمنه آمناً مطمئناً.

+ حدث أن تقدّم بعض الرهبان إلى أنبا باخوميوس يسألونه: «قل لنا يا أبانا ما الذي يمكننا أن نعمله لنحظى بالقدرة على إجراء الآيات والعجائب؟» أجابهم بابتسامة: «إن شئتم أن تسعوا سعياً روحياً سامياً فلا تطلبوا هذه المقدرة لأنها مشوبة بشيء من الزهو، بل اسعوا بالحري لتظفروا بالقوة التي تمكنكم من إجراء العجائب الروحية. فإن رأيتم عابد وثن وأنرتم أمامه السبيل الذي يقوده إلى معرفة الله فقد أحييتم ميتاً، وإذا رددتم أحد المبتدعين في الدين إلى الإيمان الأرثوذكسي فتحتم أعين العميان، وإذا جعلتم من البخيل كريماً شفيتم يداً مشلولة، وإذا حولتم الكسول نشيطاً منحتم الشفاء لمقعد مفلوج، وإذا حوّلتم الغضوب وديعاً أخرجتم شيطاناً، فهل هناك شيء يطمع الإنسان أن يناله أعظم من هذا؟».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb